يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات
من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اى وما يحدث شئ من
خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل
وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير
ذلك اضافهم اليه على زعمهم وبيانه فى قوله اين شركائى الذين وفيه تهكم
وتقريع اذناك اعلمناك ما منا من شهيد اى ما منا احد اليوم وقد ابصرنا
وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد
يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ
وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى
ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا
والمحيص المهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد آذنوا
فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائى اعادة للتوبيخ واعادته فى
القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكى ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من
قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم
فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما
تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت من دعاء الخير من طلب السعة
فى المال والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاء الخير وان مسه الشر اى الضيقة والفقر
فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط
ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه
وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا
فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لى اى هذا حقى وصل الى
لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل واعمال بر او هذا لى لا يزول عنى ونحوه
قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله وما اظن الساعة قائمة

قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريق
التوهم ان لى عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة على امر
الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
ويقول فى الآخرة يا ليتنى كنت ترابا وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة فلننبئنهم بحقيقة
ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب فلنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون
عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير
وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك هذا ايضا
ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق
بؤسا قط فنسى المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اى ذهب بنفسه وتكبر
وتعظم وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ فى الابتهال والتضرع وقد
استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفات الاجرام ويستعار له الطول
ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ وناء بجانبه بامالة الالف وكسر
النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء فى رأى فان قلت حقق لى معنى قوله
ونأى بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا فى قوله
تعالى على ما فرطت فى جنب الله ان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة الشئ نفسه ومنه
قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف
مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى حضرته والى جانبه العزيز
يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب بنفسه وذهبت
به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن
الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه ارأيتم اخبرونى ان كان القرآن
من عند الله يعنى ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة
قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل

Copyright © King Saud University